بعد ما انتهى المؤلف عليه رحمه الله من ذكر خمسة عشر أدبا للطالب في نفسه بدأ في الفصل الثاني وهو كيفية الطلب والتلقي.

وهذا الباب مهم من أبواب العلم بل هو أخطرها على الإطلاق فلا بد لطالب العلم من مرشد يرشده في بداية الطلب عن كيفية الطلب وكيفية الترقي وإلا فإنه سينقطع لا محالة ويعود بعد انقضاء كثير من الأوقات بلا فائدة

فبدأ رحمه الله بما نقله الخطيب في «أخلاق الراوي وآداب السامع»:

«من لم يتقن الأصول، حُرِم الوصول» أي من لم يتقن قواعد العلم وأسسه وضوابطه حُرِم الوصول إلى مراتب العلم وضوابطه وحُرِم الوصول إلى مسائل العلم.

فالموفق من بنى على أصول من الكتاب والسنة وعلى قواعد وضوابط مأخوذة منهما. فإذا جاءته مسألة بان له فيه الحق

أنت الآن لو أتيت برجل لم يتعلم أصول الحديث ويضبطها كيف تقول له يومًا: ما حكم هذا الحديث أصحيح هو أم ضعيف؟

وهكذا يا إخواني في كل فن وعلم من العلوم،

«ومن تدرج فيه نال معاليه».

- وقال رحمه الله نقلاً عن أرسلان في «فضل العلم» قوله: «من رام العلم جملة ذهب عنه جملة». لطالب العلم وخصوصًا عند بداية الطلب نهمة عظيمة عزيما ظنّ وأراد أنه يأخذ العلم مرةً واحدةً لكن يريد أن يأخذ النحو في ثلاثة أيام مثلاً فيبقى يذاكر ليل نهار يظن أنه قد أتقن النحو فإذا خرج خرج صفر اليدين، العلم ما يأتي هكذا وإنما يأتي شيئًا فشيئًا لكن يعلم الأمي ألف باء ما يستطيع أن يطالبه أن يكتب كلمات ومن يعلم النحو ما ينبغي له أن يطالب الناس في أول درس معرفة المعرب والمبني وإنما يؤخذ العلم شيئا فشيئًا

- وقيل أيضًا: «ازدحام العلم في السمع مضلة الفهم»، أي كثرة ما تسمع من العلوم في آنٍ واحدٍ قد يكون سببًا في تشويش الفهم وعدم الضبط لشيءٍ منها ويكون ذلك سببًا للانقطاع.

- وعلى ما تقدم من كلام فلا بد لطالب العلم من تأصيل وتأسيس في كل فنٍّ يطلبه والحمد لله كل العلوم مخدومة ففي كل فنٍّ تجد

تجد هناك مختصر قد وُضع بعناية فائقة ليخدم المبتدأ فتبدأ بالمختصر وتضبط أصله وشرحه على شيخ متقن، في هذا الفن مشهور عنه الإتقان والضبط لا تكتفي بطالب علم وإنما تطلب الراسخين لأن عندهم حل المشكلات وتوصيل المعلومات بأيسر سبيل وهذا يوفر عليك وقتا كثيرًا ومجهودًا كبيرًا وهذا يكون أحرى بالصواب فيعطيك الشيء ناضجا.

- لا بالتحصيل الذاتي، فهذا باب مزلة ومن كان شيخه الكتاب كان خطأه أكثر من صوابه وكان كمن أبحر في سفينة بلا شراع والله المستعان.

- فيتدرج مع المختصرات وما بعدها شيئا فشيئا مع جد ومثابرة. فمن حفظ المتون أو من ضبط المتون، حاز الفنون ومن فاته الحواشي حوى ولا شيء، فاحذر من هذا الأمر واستدل رحمه الله على ما ذكره بآيات ثلاث

- وقرءانا فرقناه،، أي فصلناه وبيناه وجعلناه أن تقرأه على الناس على مكث

. لتقرأه على الناس على مكث، أي على مهل وتؤدة وترسل في التلاوة لأنه أدعى إلى الفهم والتدبر، ونزلناه تنزيلا، أي مفرقا منجما على حسب الوقائع والأحداث.

- وبقوله تعالى ،، وقال الذين كفروا لولا نزل ـــــ ،،

لما طلب هؤلاء هذا الطلب بين الله الحكمة من إنزاله شيئا فشيئا وهو تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وحتى يسهل فهمه وحفظه.

- وقال تعالى ،، الذين ءاتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته،،

يتلونه يشمل ثلاث معان، تلاوة ألفاظه

: فهمه وتدبره

، العمل به

ومرجع تلك المعاني هو الذي يتلوه أي يتبعه حق اتباعه.

فأمامَكَ أمورٌ لا بُدَّ من مراعاتِها في كُلِّ فَنٍّ تطلبُهُ:

١ ـ حِفْظُ مختصرٍ فيه.

٢ ـ ضبطُه على شيخٍ مُتقِنٍ.

٣ ـ عدمُ الاشتغالِ بالمطوَّلاتِ وتفاريقِ المصنَّفات قبل الضبطِ والإتقان لأصلِه.

٤ ـ لا تنتقل من مُختصر إلى آخَرَ بلا موجبٍ، فهذا من باب الضَّجَر.

٥ ـ اقتناصُ الفوائِد والضوابطِ العلميّة.

٦ ـ جمعُ النَّفسِ للطلبِ والترقّي فيه، والاهتمامُ والتحرُّقُ للتحصيل والبلوغِ إلى ما فوقَه حتى تفيضَ إلى المطوَّلات بسابلةٍ مُوثَّقةٍ.

حدّدَ لنا المؤلف ما يلزم لبناء طالب العلم بذكر لستة أشياء:

الأول: حفظ مختصر في الفنّ الذي تريد الشروع فيه وهذا متوفر والحمد لله في كل علم شرعي وكذلك في علوم الآلة

٢ـ الأمر الثاني أن تضبط المتن المختصر لفظًا وشرحًا على يد شيخ متقنٍ لهذا الفنّ

٣ـ الأمر الثالث: عدم الاشتغال بالمطوّلات وتفاريق المصنفات قبل الضبط والإتقان لأصله لأن من أبحر في المطولات قبل إتقان الأصول كرجل لا يعرف السباحة وتلقيس و سلط أمواج البحر الخضم فماذا عساه أن يفعل من فعل ذلك لا يحصّل شيئًا هذا لا يكون عالمًا متى يبقى في دائرة المثقفين لا العلماء الأثبات

من اتقن المتون حاز الفنون، ومن قرأ الحواشي حوى ولا شيء

٤ـ الأمر الرابع ألا تنتقل من مختصر لآخر بلا موجب فهذا من باب الضجر. تجده اليوم في النحو وغدًا ينتقل الى الأصول و ثالث يوم يذهب الى متن في علوم القرآن وهكذا يقرأ في الآجرومية ثم يقول لا أقرأه منظومًا ثم يقول: لا. انتقل الى قطر الندى

ابن العربي المالكي شيخ القرطبي عليهما رحمة الله تعالى كان يرى أنه لا يخلط الطالب بين علمين، إنما يدرس العلم فإذا أتقنه انتقل منه إلى غيره وهذا أضبط للعلم وأجمع للذهن إن أمكن ذلك، ويرى رحمه الله تقديم تعلم العربية والشعر والحساب ثم ينتقل إلى القرآن. قال العثيمين وهذا فيه نظر إن كان المتعلم غير عربي فظاهر أما إن كان عربيًّا فالأولى تقديم القرآن الكريم على غيره

وذكر الشيخ رحمه الله تعالى اعتراض وتعقب ابن خلدون لابن العربي بأن العوائد لا تساعد على ما ذكره ورأى تقديم القرآن على غيره وعلّل ذلك بأن الولد ما دام صغيرًا فهو تحت حجر أبيه ينصاع لكلامه بخلاف إذا ما كبر صعب جبره.

وأما مسألة الخلط بين علمين فأكثر فهذا يرجع إلى اختلاف المتعلمين وقدراتهم وهممهم وإقبالهم على التعلم

وكان من أهل العلم من يُدَرِّسُ الفقه الحنبليَّ في «زاد المُسْتَقْنِع» للمُبتدئين، و«المُقْنِع» لمن بعدَهم للخلافِ المذهبيِّ، ثم «المُغني» للخلاف العالي، ولا يسمحُ للطبقةِ الأُولى أن تجلسَ في درس الثانية. . . وهكذا؛ دَفْعاً للتشويش.

واعْلَم أنّ ذكر المختصراتِ فالمطوَّلاتِ التي يُؤسَّسُ عليه الطلبُ والتلقِّي لدى المشايخ تختلفُ غالباً من قُطر إلى قُطر باختلاف المذاهب، وما نَشَأَ عليه عُلماءُ ذلك القُطْرِ من إتقانِ هذا المختصرِ والتمرُّسِ فيه دونَ غيره.

والحالُ هنا تختلفُ من طالبٍ إلى آخرَ باختلافِ القرائحِ والفهومِ، وقُوّة الاستعدادِ وضَعْفِه، وبُرودةِ الذهن وتوقّدِه.

وقد كان الطَّلَبُ في قُطْرنا بعد مرحلة الكتاتيبِ والأَخْذِ بحفظ القرآنِ الكــريمِ يمـرُّ بمـراحـلَ ثلاثٍ لدى المشايخِ في دروس المســاجدِ: للمُبتدئين، ثم المُتوسِّطين، ثم المُتَمَكِّنين:

ففي التــوحيد: «ثـلاثـةُ الأُصول وأدلّتها»، و«القواعدُ الأربع»، ثم

ثم ذكر رحمه الله الترتيب الذي كان يسير عليه أهل العلم في تدريس المذهب الحنبلي فيبدأون بالزاد « زاد المستقنع » للحجاوي عليه رحمه الله وهو مختصر مفيد مبارك وقد اختصره من المقنع على قول واحد وهو الراجح من المذهب، هذا للمبتدئين.
ثم المقنع « هذا فيه ذكر الخلاف المجرد في المذهب وهو للإمام الموفق
ثم المغني « لابن قدامة وفيه ذكر الخلاف العالي.

وذكر الشيخ العثيمين رحمه الله أن الموفق وضع كتابًا ما بين الزاد وما بين المقنع ألا وهو عمدة الأحكام ويمتاز عن الزاد بذكر الدليل وإن كان أقل منه في ذكر المسائل،

وذكر أيضا رحمه الله أن من العلماء من يجعل بعد المقنع كتاب « الكافي » والفرق بينهما وكلاهما لابن قدامه أن الكافي يذكر فيه الدليل فكلاهما فيه ذكر الروايتين والقولين والوجهين فهو في ذكر الخلاف النازل. أي في المذهب الحنبلي.

- وذكر الشيخ بكر أبو زيد عليه رحمه الله أن الشيخ في تدريسه ما كان يسمح للطبقة الأولى تجلس في دروس الثانية لئلا يحدث له تشويش لمعلوماته

ثم قال رحمه الله [

٨

أ

أي تدريس واختيار بعض المختصرات إنما هذا يختلف من بلد إلى بلد ومن قطر إلى قطر فقد يكون أهل بلد يدرسون المذهب الشافعي مثلاً أو الحنفي فتختلف تبعًا ذلك المختصرات وما يتبعها من كتب
- وقد يكون الاختلاف بسبب حال الطالب أو الطلاب وهذا يختلف باختلاف القرائح والفهوم، وقوة الاستعداد وضعفه، وبرودة الذهن وتوقده.

أي يجعلون الطلبة ثلاثة أقسام أو ثلاث مراحل بعد حفظ القرآن الكريم:
الأولى: المبتدئين، ثم المتوسطين ثم المتمكنين.

الأربع»، ثم «كشف الشُّبُهات»، ثم «كتاب التوحيد»؛ أربعتُها للشيخ محمد بن عبد الوهّاب رحمه الله تعالى، هذا في توحيدِ العبادةِ.

ففي التوحيد يبدأون بثلاثة الأصول وأدلتها وهي تدور على الأسئلة التي يُسأل عنها العبد في قبره من ربك وما دينك وما قولك في الرجل الذي بُعث فيكم
ثم «القواعد الأربع» و«كشف الشبهات» كعرض لبعض شبهات المشركين والرد عليها
تدور على قوله تعالى «والعصر إن الإنسان لفي خسر ــــ» الآيات.
ثم كتاب «التوحيد» كلها في توحيد العبادة وكلها للمجدد الشيخ / محمد بن عبد الوهاب

وفي توحيدِ الأسمـاءِ والصفـات: «العقيدة الـواسِـطيّة»، ثم «الحَمَوية»، و«التـدمـرية»؛ ثلاثتُهـا لشيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله تعالى، فـ «الطحاوية» مع «شرحِها».

وأما في توحيد الأسماء والصفات، يبدأون بالواسطية وهي كما قال الشيخ العثيمين من أخصب وأحسن كتب العقيدة وسميت كذلك نسبة لأهل واسط وهم أهل البلد الذين طلبوا منه أن يذكر لهم ملخصًا لعقيدة السلف فأجابهم بهذه الرسالة، ثم الحموية ثم التدمرية كلاهما لشيخ الإسلام والواسطية أجمع منهما لأبواب وهما أوسع منها في باب الصفات.

«فذكر فيها الإيمان باليوم الآخر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»

ثم الطحاوية مع شرحها وأشهرها لابن أبي العز الحنفي عليه رحمه الله.

وفي النَّحْوِ: «الأَجُرُّومِيَّة»، ثم «مُلحة الإعراب» للحَريري، ثم «قَطْر النَدى» لابن هشام، و«ألفية ابن مالك» مع «شرحها» لابن عَقيل.

وفي النحو وهو ما يتعلق بأحوال أواخر الكلمات العربية من إعراب وبناء الأجرومية، وهو كتاب مختصر مبارك سهل مقسم تقسيمًا مفيدًا.
ثم ملحة الإعراب للحريري ثم قطر الندى لابن هشام ثم ألفية ابن مالك وفيها خلاصة النحو

وفي الحـديثِ: «الأربعين» للنَّـووي، ثم «عُمـدة الأحكـام» للمقدسيّ، ثم «بلوغ المرام» لابن حَجَر، و«المنتقى» للمجد ابن تيميَّة؛ رحمَهُم اللهُ تعالى، فالدُّخول في قراءةِ الأُمَّاتِ السِّتِّ وغيرِها.

وفي علم الحديث، يبدأون بالأربعين النووية، وهو كتاب مبارك كتب له القبول سهل يجمع الآداب والمنهج وفيه قواعد مفيدة جدًا
ثم عمدة الأحكام للمقدسي واقتصر فيها المؤلف على ما ورد في الصحيحين
ثم بلوغ المرام لابن حجر وهو أوسع من عمدة الأحكام.
ثم المنتقى للمجد بن تيمية، وهو أكبر من بلوغ المرام بكثير لكنه أضعف منه من حيث بيان مرتبة الحديث فهو لا يذكر بيان مرتبة الحديث

وفي المصطلح: «نُخْبَة الفِكَر» لابن حجر، ثم «ألفية العراقي» رحمه الله تعالى.

وفي مادة المصطلح يبدأ بـ«نخبة الفكر» لابن حجر رحمه الله وهي مختصرة مفيدة مرتبة ترتيبا بديعا تغني عن كثير من كتب المصطلح كما قال العثيمين رحمه الله، ثم ألفية العراقي عليه رحمة الله تعالى.

وفي الفقه مثلاً: «آداب المشي إلى الصلاة» للشيخ محمد بن عبد الوهّاب، ثم «زاد المستقنع» للحِجَّاوي رحمه الله تعالى أو «عُمدة الفقه»، ثم «المقنع» للخلاف المذهبي، و«المغني» للخلاف العالي؛ ثلاثتُها لابن قُدامة رحمه الله تعالى.

وقد تقدم الكلام على هذا وزاد رحمه الله كتاب «آداب المشي إلى المسجد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

وفي أصول الفقه: «الوَرَقات» للجُوَيني رحمه الله تعالى، ثم «روضة الناظر» لابن قُدامة رحمه الله تعالى.

ذكر رحمه الله في الأصول «الورقات» للجويني رحمه الله، وهو مختصر مفيد عليه شروحات كثيرة ثم «روضة الناظر» لابن قدامه عليه رحمه الله.

وفي الفرائض: «الرَّحْبية»، ثم مع شروحها، و«الفوائد الجلية».

أي علم المواريث «الرحبية» ومن شروحها «الفوائد الجلية» للشيخ ابن باز رحمه الله تعالى.